

التكوين العقدي السليم وأثره في تعزيز منظومة القيم في المجتمع أ.م.د. محسن كاظم مشالي، م.د. الاع حسين عبد

ملخص

يتناول هذا البحث قضية شائكة وهي منظومة القيم في المجتمع وكيفية اسهام التكوين العقدي السليم في تعزيزها وقد عالج البحث هذه القضية كمن خلال ملاحظته أهمية البناء الفطري وركائز الترغيب والترهيب التي اولاهها الشارع أهمية استثنائية في عملية البناء والتقويم. وانطلق البحث في معالجته هذه القضية من معيارية الفرد والمجتمع وضرورتها لملاحظة نجاح الاجراءات من عدمه . ولأجل ترسيخ دين الفطرة في نفس الإنسان كان لابد من إصلاح الحياة الإنسانية وتهذيبها، وأن يُعاد تكوينها من الداخل على نحو يجعل الإنسان متجاوباً ومنسجماً مع فطرته وأهدافه العليا وواقعه، مع عدم اغفال أن يقوم المحتوى الداخلي للإنسان على أساس دين الفطرة، كي ينطلق نحو العالم الخارجي الذي لا ينمو ولا يتطور إلا بالبناء، العقدي للإنسان. الكلمات المفتاحية: التكوين، العقدي، تعزيز، منظومة، القيم، المجتمع.

Abstract:

This research deals with a thorny issue, which is the system of values in society, and how proper doctrinal formation contributes to strengthening it.

In dealing with this issue, the research proceeded from the standard of the individual and society and its necessity to observe the success of the procedures or not.

In order to consolidate the religion of instinct in the human soul, it was necessary to reform and refine human life, and to reconfigure it from the inside in a way that makes man responsive and consistent with his instinct, his higher goals, and his reality, while not forgetting that the inner content of man is based on the basis of the religion of instinct, in order for him to move towards the outside world. Who does not grow and develop only by building, the nodal human being.

Keywords: Composition, nodal, promotion, system, values, society.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فلا شك بأن للعقيدة الدور الكبير في هداية الإنسان وكماله، ولا يتم تحقيق ذلك إلا عن طريق الدين وحده، فالدين هو الذي يلبي حاجات الروح ومتطلبات الإنسان، وهو من يتكفل بالقضاء على التناقضات والازدواجيات التي تحصل بين الإنسان واطراف العملية الإنسانية كلها، وأما الأديان التي حرفت وشوهت على التاريخ فلا تمثل إلا انحرافاً وميلاً عن الخط الإلهي المرسوم للإنسان، ولذلك انهارت عملية الاستخلاف ومسيرته برمتها.

إذن فاللينة التي أنشأ الله تعالى منها الإنسان لبنة مؤمنة موحدة بالله تعالى، ولهذا لو ترك الإنسان وحده يعيش في مكان ما لفترة زمنية فانه سيهتدي لخالقه ويعرف وجوده سبحانه، ولأنه تعالى خلق الإنسان ويعرف مافي نفسه وفطره على معرفته، ولكن الخالق العظيم جعل لهذا الإنسان حدوداً لا يتجاوزها، ولايد من واسطة لمعرفة كيفية عبادته سبحانه، والعقل غير كاف وحده لمعرفة كيفية عبادته سبحانه وتعالى، ولهذا أرسل الله الرسل(عليهم السلام) ليعلموا الناس كيفية عبادة الله تعالى على وجهها الصحيح، وما على الإنسان إلا اتباع هؤلاء الرسل المبلغين دين الله إلى البشرية جمعاء، وثُمَّ يَعْرِف هؤلاء الرسل بني البشر بالشرائع السماوية كي يتم تعظيم الله تعالى على الوجه اللائق لتعظيمه وتوقيره وعبادته حق عبادته، وتنبيههم عند الغفلة.

من هنا فإن التكوين العقدي الصحيح السليم هو من يكفل ببناء الفرد والمجتمع بناء صحيا بعيدا عن لوثة التطرف والإرهاب عن طريق تعزيز قيم التسامح بين أبناء المجتمع وجميع أفرادها وهذا ما حاولنا إمطة اللثام عنه في هذا المبحث الذي جاء في مقدمة ومبحثين وخاتمة، تكلمت في المبحث الأول عن ملامح التكوين العقدي السليم ثم تكلمت في المبحث الثاني عن أثر التكوين العقدي في تعزيز قيم التسامح في المجتمعات والذي لن يتم إلا ببناء الإنسان فردا أو جماعات ثم ختمت البحث بجملة نتائج توصلت إليها بعد هذه الرحلة المباركة التي أرجو أن أكون وفقت فيها، فله الشكر والمنة وحسبي أني بذلت جهدي وصى الله على النبي الأكرم وآله الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين.

المبحث الأول ملاحم التكوين العقدي السليم

المطلب الأول: أطر معرفية

١- **العقيدة في اللغة:** هي أخذ الشيء بقوة مع إحكامه وتوثيقه^(١)، ونلاحظ أن لفظة عقيدة لم تأت في القرآن الكريم، وإنما جاءت: وفي قوله تعالى: (وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ^٢) وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ^٣ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا^(٤) أي حالفتم وعاهدتم^(٥).

وفي قوله تعالى: (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ^(٦)) أي وتفتنوها بالقصد والنية^(٧).

وفي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ^(٨)) أي بالعهود المؤكدة الوثيقة^(٩).

وفي قوله تعالى: (وَلَا تَغْرُمُوا عُقْدَةَ الْبَيْعِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ^(١٠)) أي عقد الزواج^(١١).

وفي قوله تعالى: (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ^(١٢)) أي النساء الساحرات اللاتي يسحرن بالعقد على المسحور وينفتن في العقد^(١٣).

٢. **العقيدة في الاصطلاح:** سمي هذا العلم بالعقيدة لتعلقه بما انعقد في القلب دون العمل بالجوارح، فكان المقصود منه نفس العلم بخلاف علم الفروع، فالمقصود من العمل أفعال الجوارح كالصلاة ونحوها^(١٤)، ولا يعني فصل العقائد عن العمل بالممارسة والفعل إنما تفصل لأغراض الإيضاح والتعليم.

لذا فالعقيدة الإسلامية هي: (الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب واخباره، وما أجمع عليه سلف الأمة، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله صلى الله عليه واله وسلم) بالطاعة والتحكيم والاتباع^(١٥).

٣- **تعريف القيم في اللغة:** قال ابن فارس (القاف والواو والميم) أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس وربما أستعير لغيرهم. الآخر إنتصاب وعزم، ويأتي بمعنى قوم المتاع بكذا أي تعدلت قيمته به^(١٦). كما وتعددت تعريفات القيم في اللغة، وإن كان جميعها يُشير إلى الأمور الآتية^(١٧):

١. الثبات والدوام والاستمرار.

٢. قيمة الشيء وثمرته.

٣. إعطاء الشيء حقه.

٤. القيم مصدر بمعنى الإستقامة.

٥. الأمر المستقيم الذي لا زيف فيه، لذا كانت القيم مما يتمسك به.

والقيم بالكسر واحدة القيم وماله قيمة إذا لم يدم على شيء، وقومت السلعة واستقيمتها أي ثمنتها واستقام اعتدل وقومته عدلته فهو قويم ومستقيم^(١٨).

٤- **تعريف القيم في الاصطلاح:** هناك عدة تعاريف في الاصطلاح للقيم، ومنها ما يأتي:

(١) ينظر: الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، دار الفكر، بيروت، ١٥/٥، الفيومي، المصباح المنير، ٢٦٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٣.

(٣) ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ٦٨/١٠.

(٤) سورة المائدة، الآية ٨٩.

(٥) ينظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، ١٥/٧.

(٦) سورة المائدة، الآية ١.

(٧) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ، ٦٣٥/١.

(٨) سورة البقرة، الآية ٢٣٥.

(٩) ينظر: محمد رشيد رضا، بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ٣٥٧/٢.

(١٠) سورة الفلق، الآية ٤.

(١١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢، ١٧٩.

(١٢) ينظر: محمد بن محمد البارني، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، الكويت، ١٩٨٩م، ص ٢٣.

(١٣) د. نسيم ياسين، شرح أصول العقيدة الإسلامية، مكتبة دار المنارة، ط ٤، ٢٠٠٥م، ص ٤، ط: د. ناصر العقل، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، دار الوطن للنشر، ١٤١١هـ، ص ٥.

(١٤) معجم مقاييس اللغة. ابن فارس: ٤٣/٥.

(١٥) ينظر: ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، لبنان، ط ٣ - ١٤١٤هـ، ٣٧٨٥/٥، الهروي: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٢٦٧؛ أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة - بيروت، ٦٨٤.

(١٦) ينظر: محمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا والقيم، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، ٢٠١٠م، ص ١٩.

إن مصطلح القيم يدخل في كثير من المجالات لذا فقد تنوعت المعاني الاصطلاحية له بحسب المجال الذي يدرسه وبحسب النظرة إليه فعند علماء الاجتماع: هي الاعتقاد بأن شيئاً ما ذا قدرة على إشباع رغبة إنسانية وهي صفة للشيء تجعله ذا أهمية للفرد أو الجماعة. وعند الفلاسفة تعدّ القيم جزء من الأخلاق والفلسفة والسياسة^(١٧).

والقيم الإسلامية عرفت: بأنها مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي نزل بها الوحي والتي يؤمن بها الإنسان ويحدد سلوكه في ضوءها وتكون مرجع حكمه فيما يصدر عنه من أفعال وأقوال وتصرفات تربطه بالله ﷻ والكون^(١٨).

المطلب الثاني: البناء الفطري

لعلّ من أهمّ مرتكزات البناء العقدي السليم هو موائمه للفطرة الإنسانية، والفطرة بحسب التوصيف اللغوي هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين^(١٩).

وقد جاءت الفطرة في بعض الأحاديث مرادفة للإسلام الذي يُولد عليه كل إنسان وذلك قوله (صلى الله عليه واله وسلم): (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...) (٢٠) وهو واضح في التأكيد على أن المولود لو ترك على فطرته الأصلية لما مال إلى الأديان الباطلة، ولكن السبب في ميله للدين الباطل خارجي وهو سعي الوالدين في ذلك^(٢١) ولذا يلحظ أنّ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لم يقل أو يسلمانه، فيدل على أن الإسلام هو الأصل، والخروج عنه خروج عن الأصل والفطرة.

قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (٢٢).

فهذه الآية الكريمة توضح دور الفطرة في البناء العقدي وأنه مرتكز رئيس فيه لذا جاء هذا الاشهاد في منطوق الآية لإتمام الحجة، وأن لا يقوم أحد بالاحتجاج بأبائه، وأنه اقتدى بهم، وأنه كان طفلاً لا يعقل، وأنه معذب بجريرة آبائه المنحرفين عن الفطرة، فكان الإشهاد دافعاً لكل تلك الاحتجاجات والتعويلات، يقول الطبرسي في تفسير الآية: (إني أنما قررتكم بهذا لتواطبوا على طاعتي، وتشكروا نعمتي، ولا تقولوا: إنما أشرك آبائنا من قبل، فنشأنا على شركهم احتجاجاً بالتقليد، وتعويلاً عليه، أي فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي، وأشهدتكم على أنفسكم بإقراركم بمعرفتكم إياي). (٢٣).

وذلك أنه سبحانه (نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحديته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكانه اشهدهم على أنفسهم وقرروهم)^(٢٤).

وقال تعالى: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (٢٥)، ونلاحظ هنا إشارة إلى أصليين أساسيين من الخلق والوجود، وكل واحد منها دليل وبرهان مستقل يوصل إلى معرفة الله تعالى^(٢٦).

الأول: أنّ الله تعالى قد وهب لكل موجود ما يحتاجه، وهذا امر في غاية الاهمية، فاذا دققنا في جميع الكائنات نباتات كانت أو حيوانات سنرى أن لكل منها انسجاماً تاماً مع محيطها الذي تعيش فيه.

والثاني: مسألة هداية وإرشاد الموجودات، وقد جعلها القرآن الكريم باستعماله (ثم) في الدرجة الثانية بعد تأمين الاحتياجات.

يقول محمد رشيد رضا: (وعلى هذا الأصل بُني الدين التعليمي التشريعي، الذي هو وضع إلهي يوحى الله إلى رسوله لنلّا يضل عباده بضعف اجتهادهم في العمل بمقتضى غريزة الدين كما وقع بالفعل، ولا يقبل البشر هذا الدين التعليمي بالإذعان والوازع النفسي إلا إذا كان الملقن لهم مؤيداً في تبليغه وتعليمه من صاحب ذلك السلطان الغيبي الأعلى، والتصرف المطلق في جميع العالم، الذي تخضع له الأسباب والسنن فيه وهو لا يخضع لها)^(٢٧).

وهكذا نبع الإيمان من باطن الإنسان ليعبر عن فطرته الأصلية وتعلقه بخالقه الذي خلقه في أحسن تقويم، وأمن هذا الإنسان بوجود الله تعالى قبل وجود الفلسفات وأدلتها المتعددة على وجوده سبحانه، قال تعالى (أَفَي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٢٨)، ولأجل ترسيخ دين الفطرة في نفس الإنسان لا بد من إصلاح الحياة الإنسان وتهذيبها، وأن يُعاد تكوينه من الداخل على نحو يجعله متجاوباً ومنسجماً مع فطرته وأهدافه العليا وواقع، وينبغي أن يُقام المحتوى الداخلي للإنسان على أساس دين الفطرة، كي ينطلق نحو العالم الخارجي الذي لا

(١٧) يُنظر: القيم في الفكر التربوي الإسلامي. د. عبد الكريم علي اليماني، د. عبد الكريم خليفة، د. علاء صاحب، دار الغيداء، عمان، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١١م: ص٢٠٩.

(١٨) يُنظر: المصدر نفسه: ص١١٥.

(١٩) الجرجاني: علي بن محمد. (٨١٦هـ-١٤١٣م)، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة - القاهرة - جمهورية مصر العربية، ص ١٣٧.

(٢٠) البخاري، صحيح البخاري، ٩٨/٢.

(٢١) يُنظر: الرازي، ١٢/٦، في معرض تفسير قوله تعالى: (كان الناس امة واحدة) سورة البقرة، ٢١٣.

(٢٢) سورة الاعراف، ١٧٢.

(٢٣) مجمع البيان، ٢٨٢/٤.

(٢٤) الزمخشري، الكشاف، ١٦٦/٢.

(٢٥) سورة طه، ٥٠.

(٢٦) يُنظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكتبة مدرسة الفقاهة، ١٢/١٠، الرازي، مفاتيح الغيب، ٥٨/٢٢.

(٢٧) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص١٥٩.

(٢٨) سورة إبراهيم، ١٠.

ينمو ولا يتطور إلا بالبناء، العقدي للإنسان، يقول محمد قطب (ت ١٤٨٠ هـ): (من التخلف العقدي نشأت كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الإسلامي.... التخلف العلمي والحضاري، والاقتصادي، والحربي، والفكري، والثقافي...) (٢٩).
إذن فالمشكلة هي مشكلة الإنسان، الإنسان نفسه لا ما يحيط به، لأنه محور الحياة ومركزها، وإن إصلاح فطرة الإنسان وبنائها يؤدي بالتالي إلى إصلاح وبناء كل ما يحيط به من مشكلات ومسائل أخرى.

المطلب الثالث: ركيزتا الترغيب والترهيب في البناء العقدي

يعد النظام العقدي متوازناً في أسلوب الترغيب والترهيب فهما يسيران معاً جنباً إلى جنب في صياغة المعتقد الذي يجب أن يعتنقه المتلقي المسلم، ونعني بالترغيب: بأنه صورة تحبب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة مؤكدة، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله تعالى. والملاحظ أن الله تعالى رغب في القرآن الكريم بمصالح ومتع عاجلة كثيرة، ولعل أبرزها:

أ- الحياة الطيبة، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣٠)، يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في تفسير (حَيَاةً طَيِّبَةً) (القتوع) (٣١)، (فـ) في الدنيا يعيش – الإنسان - عيشاً طيباً، فإن كان موسراً فظاهر، وإن كان معسراً يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة.... (٣٢)، والقناعة تتحقق بالقليل .

ب- الأمن والهداية في الدنيا، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) (٣٣) فالأمن في هذه الآية عام (يشمل الأمن من عقاب الله، والأمن من حوادث المجتمع المؤلمة، والأمن من الحروب والمفاسد، والجرائم) (٣٤) في الدنيا.

ج- حلول الخيرات والبركات، قال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٣٥) فهذه البركات واضحة الدلالة في الترغيب بالأمور الدنيوية (البركات أنواع الخير الكثير ربما يبتلى الإنسان بفقد كالأمن والرخاء والصحة والمال والأولاد وغير ذلك) (٣٦). فهذه الأمور السالفة هي من الأمور العاجلة في الجزاء، وبعضها مشترك بين الدنيا والآخرة، وبهذا يمكن القول في تعريف الترغيب: هو وعدٌ من الله تعالى لعباده فيه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو لذة أو متعة عاجلة أو آجلة، يتبعه حرص وإرادة، مقابل القيام بعمل صالح أو ترك عمل سيء، طاعةً لله تعالى.

أما الترهيب: فهو وعيد وتهديد بعقوبة يترتبان على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله تعالى عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله تعالى بها، أو تهديد من الله تعالى يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي (٣٧)،

وتكمن أهمية هاتين الركيزتين من أنه لا يمكن أن يتحقق البناء العقدي للإنسان مالم يعرف الإنسان أن ثمة نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله أو سلوكه، فإن عمل خيراً نال السرور، وإن عمل شراً نال الألم والمرارة. ويقرر سيد قطب أن أسلوب القرآن المجيد: (يحتوي الكثير من الترغيب والترهيب، الترغيب في خير الدنيا والآخرة لمن يستجيب لداعي الدينونة لله وحده بلا شريك، وما تحمله للبشر من خير وصلاح ونماء... والترهيب بالحرمان من خير الدنيا أو الآخرة، بالعذاب في الدنيا أو في الآخرة لمن يعرضون عن هذا الداعي، ويسلكون طريق الطواغيت حيث يسلمونهم في الآخرة إلى جهنم) (٣٨).

المبحث الثاني

أثر التكوين العقدي الصحيح في تعزيز قيم التسامح

توطئة

لعل العقيدة هي أهم قضايا القرآن الكريم، إذ لا نجد اعتناء قرانياً كالإعتناء بقضية التوحيد وعرضها؛ لأن مبنائها على التوحيد الذي هو أهم مطلوب يجب تحصيله قبل كل شيء، ولا يُقبل عمل إلا به، وما يُقسم للناس في الدنيا والآخرة إلا على أساس التوحيد، فإذا تم بناء (العقيدة) عند الإنسان على أساس قوي يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد (صلى الله عليه واله وسلم) نبياً ورسولاً، وأن بعد هذه الحياة حياة أخرى، كان هذا محركاً قوياً يحرك الإنسان إلى الالتزام، وهذا هو الوازع الذي تتحرك دوافع الإنسان على ضوئه ويتفاعل بناءً عليه، وبالتالي يتكون لديه رادع قوي عن الشهوات والشبهات، ويتربى على طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم. وهذا هو التوجه إلى الله تعالى بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة، التوجه بها إلى الله تعالى خالصة، والتجرد من كل شعور آخر، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله سبحانه، ويقول تعالى: (وما أرسلنا من رسول

(٢٩) محمد قطب ، واقعنا المعاصر، ص ١٧٣.

(٣٠) سورة النحل، ٩٧.

(٣١) الطوسي: أبي جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ)، كتاب الامالي ، تحقيق : بهراد الجعفري ، علي أكبر الغفاري. المكتبة الاهلية ، ١٩٦٤م، بغداد، ٢٤٧/١.

(٣٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله (ت: ٦٨٥ هـ)،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ - ١٤١٨ هـ، ٤٢٣/٢.

(٣٣) سورة الانعام، ٨٢.

(٣٤) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٤٧/٤.

(٣٥) سورة الاعراف، ٩٦.

(٣٦) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلى للمطبوعات ، بيروت- لبنان، ١٧١/٨.

(٣٧) ينظر: سعيد جبار، الاقناع في التربية الإسلامية، دار الاندلس، جدة، ط٢، ٢٠٠١م، ص١٢٥.

(٣٨) سيد قطب : ابراهيم الشاذلي، في ظلال القرآن ، دار الشروق للنشر ، مصر ، ١٨٤٦/٤.

الأنوحي إليه انه لا اله الا انا فاعبدون (٣٩)، فهذا تذكير بوجوب وحدانية الله سبحانه، وانحصار الألوهية فيه تعالى(٤٠)، وتمسك الإنسان بهذه العقيدة تمسك شامل لجميع نواحيها من دون تيعيض يؤتي ثماره عليه، إذ الإيمان في قلب الإنسان كمثّل شجرة طيبة كلما رسخت جذورها وتفرعت أغصانها آتت ثمراتها الطيبة الياقة النافعة، وإن كانت هذه الثمار نسبية عند الإنسان، وهي بقدر مايعيها في نفسه ويعمل بها، وبطبيعة الحال لا يقتصر الأثر فقط من عقيدة التوحيد على الإنسان، بل إنّ كل عقيدة (مهما كان خطها الفكري-مادياً أو روحياً) تترك آثارها على الفرد والمجتمع، أو تخلق أجواء معينة تؤثر على سلوكية الفرد وسلوكية المجتمع كذلك(٤١)، وهذا ما سوف نوضحه فيما يأتي:

المطلب الأول: أثر العقيدة في الإنسان (الفرد)

يمكن إيجاز آثار العقيدة على الفرد عن طريق بيان وتأكيد الشارع الحكيم علة قضية تحرير الإنسان من رق العبودية وربقتها لغير الله تعالى أو الخضوع لسواه، وذلك أنّ عقيدة التوحيد تطبع معتنقيها على حبّ الحرية والاستقلال(٤٢). يقول الله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (٤٣). إنّها كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد، لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يستعبد بعضهم بعضاً، فالناس كلهم لآدم وأدم من تراب؛ فلا يصحّ أن نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة والانراه أهلاً لأن يعبد(٤٤).

ولا نعني هنا بالعبودية لغير الله تعالى التمثّل بمظاهرها المعروفة من الطقوس والمناسك وحسب، بل نعني بها كل عبودية تكون عاملة في نفس وجوارح الإنسان في طاعة غير الله تعالى، ومن ثمّ الوقوع بشراك العبودية وانعدام الحرية، وهذا المعنى نلاحظه في قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُ الْإِسْلَامِ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٤٥).

ولا شك بأن جميع مدارس العلاج النفسي تكاد تتفق اليوم على أن القلق هو السبب الرئيس في نشوء الامراض النفسية، والإيمان بالله تعالى إذا ما ثبت في النفس منذ الصغر فإنه يكسب الإنسان مناعة من الامراض النفسية(٤٦). وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (٤٧) فضلاً عن يقظة الضمير ومراقبة الله تعالى في كل ما يعمل أو يقوله أو يفكر به، لأنه يعلم ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهذا من ثمار الإيمان التي تعجز قبالتها أعتى الأيديولوجيات لزرع هكذا منقبة، ولكن الإنسان المؤمن يلتمس ذلك فيه، ويستشعره في قوله تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (٤٨).

فالإنسان المؤمن تتضح عليه آثار العقيدة التي أعتنقها في ظاهر تصرفاته وبواطنها، ولا يتوهم هذا الإنسان أبداً أنّ الله تعالى غير شاهد على باطنه، فهو يعلم من عقيدة التوحيد أنّ الله سبحانه لديه السر والعلانية، والأمر عند الخالق تعالى سياتي في الظاهر والباطن، ففكرهم ونواياهم أنّ الله مطلع عليها(٤٩)، وفي ذلك نلاحظ قوة هذه العقيدة في نفوس المؤمنين فيما يوضحه قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ) (٥٠). فالإنسان المؤمن بهذه العقيدة مرتقب في سلوكه وحتى كلامه سره وعلانيته، فهو يعتقد بأنّ الرب الذي يعبد ويؤمن به محيط بكل شيء بما تحمل هذه المفردة (شيء) من معنى، وهو سبحانه يلحظنا ويرانا من حيث لانراه، يقول الزمخشري: (ومعنى كونه معهم: أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه، فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم، وقد تعالى عن المكان والمشاهدة) (٥١).

إذن فتربية الضمير النابع من الإيمان المتولد من البناء السليم للعقيدة الإسلامية يوضح أنّ الإنسان يُساق من باطنه لامن ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات كافيين وحدهما لإقامة إنسان فاضل يحترم الحقوق ويؤدي الواجبات على وجهها الأكمل.

(٣٩) سورة الأنبياء ، ٢٥ .

(٤٠) ينظر : النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: ٧١٠هـ) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٨٤/٢ .

(٤١) محمد جواد مالك، العقائد الإسلامية (دراسة منهجية في أصول الدين)، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٨ .

(٤٢) مسلم الحسيني الحلي، الإسلام دين الوحدة، مجلة رسالة الإسلام، العدد ١، ١٩٤٩م، ص ٤١٩ .

(٤٣) سورة آل عمران ، ٦٤ .

(٤٤) الألوسي، روح المعاني، ٢٥٤/٣ .

(٤٥) سورة التوبة، ٣١ .

(٤٦) ينظر : كمال مرسي، المدخل إلى علم الصحة النفسية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٨، ص ١٩٥ .

(٤٧) سورة الرعد ، ٢٨ .

(٤٨) سورة غافر ، ١٩ .

(٤٩) ينظر : ابن عاشور : محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤هـ ، ١٧٣/٢٤ .

(٥٠) سورة المجادلة ، ٧ .

(٥١) الكشف ، ٤٨٩/٤ .

ولا شك أن أكبر أثر للعقيدة يكمن فيما تكسبه من العزة والثبات؛ فالرباط الوثيق الذي يقيمه الإيمان بين الإنسان وربّه يمنحه العزة به والعزة كلها لله تعالى، وليس لأحد سواه، وهو ما نلاحظه في قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (٥٢).

فالعزة لا توجد ولن توجد إلا عند الله تعالى فهي جميعاً عنده، والإنسان الذي يتمثل بالعقيدة نلاحظ فيه هذه الثمرة من حيث المنفعة في دينه، وعدم الانحناء إلى مخلوق أو طاغوت، ولا لقوة سلطان، ولا لمصلحة أو رئاسة، وإنما يظل عزيز النفس والهوى، قوي الإرادة والتصرف، لأنه يتيقن أن العزة لله جميعاً.

أما الإنسان اللانتمى إلى عقيدة التوحيد نراه يتخبط في التماس العزة، فلا يصل إليها لأنه لم يسلك سبيل الله تعالى، فلا تلاحظه قد نال من العزة إلا ظاهرها، ويبقى خاوياً عنها، فالكافرون كانوا يتعززون بالأصنام، وهذه الأصنام تتمثل اليوم في قوى الشر الكبرى في عصرنا الحاضر فيقول الله تعالى عنهم: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) (٥٣).

وآخرون من الذين آمنوا بالسنتهم من غير أن يدخل الإيمان قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين، طائنين أن العزة في موالاتهم، قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا لَهُمْ عِنْدَ الْعِزَّةِ) (٥٤)، وهذا الاستفهام الإنكاري دليل بطلان رأيهم وخيبة رجائهم. (٥٥)

المطلب الثاني: أثر العقيدة في المجتمع

لقد حوى القرآن الكريم الكثير من التشريعات والآداب والتوجيهات البناءة كافة، لقيام الأمة الإسلامية، لتكون في محل الصدارة والريادة والقيادة، بيدها أزمة الأمور، ولعل أول هذه التشريعات وأصلها وقاعدتها العقيدة الإسلامية، التي تجمع الأمة على رب واحد، هو خالق السماوات والأرض والخلق أجمعين؛ فيجتمعون على عبادته من الحب والخشية، والرجاء والتقوى؛ فتتوحد قلوبهم وضمائرهم، وتتوجه أعمالهم جميعاً إليه، وتلتقي مشاعرهم نحوه، وتزداد أواصر التعاون والإخوة بينهم، لقوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (٥٦). فوحدة الرب المعبود، ووحدة العقيدة تنمي مشاعر القربى بين المؤمنين فيستشعرون إخاءً عظيماً يجمعهم، فوحدة العقيدة من أهم أسباب وحدة المجتمع.

فالإخوة في الله تعالى من أوثق روابط النفوس وأمتن غرى القلوب وأسمى صلات العقول والأرواح؛ لأن الإخوة الإيمانية جزء لا يتجزأ من العقيدة التي تربط بين قلوب معتنقيها بأواصر لا تنفصم.

يقول محيي الدين بن العربي (ت ٦٣٨هـ): (إن الإيمان الذي أقل مرتبته التوحيد والعمل يقتضي الإخوة الحقيقية بين المؤمنين للمناسبة الأصلية والقربة التي تزيد على القربة الصورية والنسبة الولادية بما لا يقاس لاقتضائه المحبة القلبية اللازمة للاتصال الروحاني في عين جمع الوحدة لا المحبة النفسانية المسببة عن التناسب في اللحمية فلا أقل من الإصلاح الذي هو من لوازم العدالة وإحدى خصالها إذ لو لم يعدوا عن الفطرة ولم يتذكروا بغواشي النشأة لم يتقاتلوا ولم يتخالفوا فوجب على أهل الصفاء بمقتضى الرحمة والرافة والشفقة اللازمة للإخوة الحقيقية الإصلاح بينهما وإعادتها إلى الصفاء) (٥٧).

وقال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) (٥٨). فتحوّلت هذه المعاني إلى حقائق ذهنية استوعبها الذهن والقلب فصدر عنه سلوك عملي من المسلمين الأوائل حينما بلغوا هذه الدرجة من المحبة الأخوية (لما اجتمعوا على الاعتصام بحبل الله، ولاحث لهم آيات السعادة، وذاقوا شيئاً من حلاوة النعم وجدوا صدق ما يذكرهم به الله من هنيئ النعمة ولذيق السعادة فكان الخطاب أوقع في نفوسهم ونفوس غيرهم. ولذلك بُني الكلام ووضعت الدعوة على أساس المشاهدة والوجدان دون مجرد التقدير والفرض فليس العيان كالبيان، ولا التجارب كالفرض والتقدير) (٥٩).

وهكذا تكون ثمار العقيدة الإسلامية على المجتمع، فعندما يتحقق الإخاء بين أفرادها تحقق بالتالي الوحدة الاجتماعية النابعة من هذا الإخاء.

ولعل أهم ما تنشؤه هذه الرابطة الأخوية هو قضية الموالاتة بين المؤمنين، فينشط للعمل معهم ومن أجلهم فهم كما وصفهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في قوله: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٦٠)، أو في حديث آخر يصف النبي (صلى الله عليه واله وسلم) هذه الموالاتة بقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (٦١)، وكل هذا ثمرة من ثمرات التمسك بالعقيدة الإسلامية، إذ يقول تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(٥٢) سورة فاطر، ١٠.

(٥٣) سورة مريم، ٨١.

(٥٤) سورة النساء، ١٣٩.

(٥٥) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ٢٢٤/٥.

(٥٦) سورة الحجرات، ١٠.

(٥٧) تفسير ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦م، ٢٦٠/٢.

(٥٨) سورة آل عمران، ١٠٣.

(٥٩) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٢٦/٣.

(٦٠) البخاري، صحيح البخاري، ٧٧/٧، المجلسي، بحار الأنوار، ١٤٢/٢٠.

(٦١) المصدر نفسه، ١٢٣/١، المصدر نفسه، ١٥٠/٥٨.

أُولِيَاءُ بَعْضٍ^(٦٢). فنلاحظ أن القرآن المجيد عبر عن المجتمع العقدي بصفة أنهم بعضهم أولياء بعض، لما تضيفه هذه العقيدة من ظلال على معتقدها، في حين نلاحظ أن القرآن الكريم عبر عن صفات غير أصحاب العقيدة الإسلامية بعضهم من بعض، وهو في قوله تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ)^(٦٣)، ولم يعبر عنهم بنفس تعبير المؤمنين (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) وذلك أن اللامنتمين (يفقدون روح المودة والولاية لبعضهم البعض، بل إنهم إذا شعروا في أي وقت بأن منافعهم ومصالحهم الشخصية قد تعرضت للخطر فلا مانع لديهم من خيانة حتى أصدقائهم فضلاً عن الغرباء)^(٦٤)، وهؤلاء يصفهم الله سبحانه بقوله: (تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى)^(٦٥)، فيراهم الناظر متفقين في الظاهر، إلا أن الحقيقة أن هذا المجتمع منزّل الأواصر لفساد العقيدة التي يدينون بها وبالتالي ينعكس على حالهم لأدنى شدة أو بلاء أو فتنة، وذلك أنهم لم تثمر فيهم الموالاة الحقيقية التي أرادها الله تعالى في المجتمع العقائدي، ولهذا يرى ابن عاشور أن الآية تشير إلى أهمية الالتزام بالعقيدة الإسلامية لتنعكس ظلالها بالتالي على المجتمع وإن لا يكون كالمجتمع اللامنتمي، فيقول: (وفي الآية تربية للمسلمين ليحذروا من التخالف والتدابير ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمان يرون رأياً متماثلاً في أصول مصالحها المشتركة، وإن اختلفت في خصوصياتها التي لا تنقض أصول مصالحها، ولا تفرق جامعتها، وأنه لا يكفي في الاتحاد توافق الأقوال ولا التوافق على الأغراض إلا أن تكون الضمان خاصة من الإحن والعداوات)^(٦٦).

إذن الخلاف في الجزئيات في المجتمع الإيماني لا يفرق وحدتهم وموالاتهم ما كانوا على الأصل متفقين، وما كان دون ذلك فهو مجتمع إلى المجتمع اللامنتمي اقرب، من حيث بعده عن الانتماء لعقيدة التوحيد، وتمثله للعصبية الجاهلية، وهو ما نلاحظه أسفاً في واقع حياة المسلمين، إذ (أخذ البعض يكفر الآخر من غير حجة ولا بينة، وصارت للآراء والأفكار عصبية تشبه العصبية الجاهلية)^(٦٧)، ووصف بعض طوائف المسلمين بصفات عقديّة من غير النظر إلى أصول هذه الطائفة وعقائدهم من مصادرها المعتبرة، مما يمزق النسيج الإسلامي، ويزرع التفرقة بينهم والعداوة، مع أن كبار العلماء يشددون على الموالاة بين المسلمين، فيقولون: (إن الخطأ في عدم التكفير أهون من الخطأ في التكفير)^(٦٨).

وفي هذا المجال يقول الذهبي (ت٧٤٨هـ): (ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده، مع صحة إيمانه وتوحيده لأتباع الحق، أهدرناه وبدّعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه)^(٦٩).

وهذا ما نلمسه عند الشيخ جعفر السبحاني أيضاً إذ قال: (إن المسلمين في عالمنا الراهن يتفقون في الأصول الأساسية الثلاثة – التوحيد والنبوة والمعاد – فيلزم أن لا يكفر فريق فريفاً آخر لأن الكثير من الأصول المختلف فيها هي في الحقيقة من القضايا الكلامية التي طرحت على بساط البحث والمناقشة بين المسلمين فيما بعد، ولكل فريق منهم أدلته وبراهينه فيها – وبضيف – وعلى هذا لا يمكن أن يتخذ الاختلاف في هذه المسائل وسيلة لتكفير هذه الفرقة، أو تلك أو ذريعة لتفسيق هذه الطائفة أو تلك، ولا سبباً لتفتيت وحدة المسلمين)^(٧٠).

وقد: (اختلف الأئمة في بعض مسائل العقيدة، كما اختلفوا في بعض مسائل الفقه، ولم يكفر أو يفسق أو يبدع بعضهم بعضاً، لأنهم قد عرفوا من أحوال مخالفيهم أنهم كانوا مجتهدين في طلب الحقيقة، وأن ما قالوه هو أحسن ما يقدرون ووصل إدراكهم إليه)^(٧١).

ولعل من المهم الإشارة إلى أن الناس في المجتمع الإسلامي بفضل العقيدة سواسية في مبدأ إنسانيتهم؛ لأنهم يصدر عن الخلق من أصل واحد، وهم سواسية في مقام العبودية لله تعالى، فلا فضل لأحد منهم على أحد من حيث جوهر وجودهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)^(٧٢).

يقول السيد الطباطبائي: (يريد دعوتهم إلى تقوى ربهم في أمر أنفسهم وهم ناس متحدون في الحقيقة الإنسانية من غير اختلاف فيها بين الرجل منهم والمرأة والصغير والكبير والعاجز والقوي حتى لا يجحف الرجل منهم بالمرأة ولا يظلم كبيرهم الصغير في مجتمعهم الذي هداهم الله إليه لتتيم سعادتهم والقوانين المعمولة بينهم التي ألهمهم إياها لتسهيل طريق حياتهم، وحفظ وجودهم وبقائهم فرادى ومجتمعين)^(٧٣).

وعلى هذا الأساس لا مبرر للتمييز العنصري واللغوي والمحلي والعشائري وما شابه ذلك، مما يسبب في عالمنا الراهن آلافاً من المشاكل في المجتمعات اللامنتمية إلى عقيدة التوحيد، ولا مجال لهذه الأمور وما يترتب عليها من الأمجاد الكاذبة والتفوق الموهوم في مجتمع العقيدة الإسلامية، فهذه العقيدة كما تقدم لا تنظر إلى مظاهر هذا الزخرف بل هي ناظرة إلى المجتمع بما يعمل للقرب إلى الله سبحانه، لأن البشر كافة على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، وأقطارهم يرجعون إلى أب واحد وأم واحدة.

(٦٢) سورة التوبة، ٧١.

(٦٣) سورة التوبة، ٦٧.

(٦٤) ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٨٤/٦.

(٦٥) سورة الحشر، ١٤.

(٦٦) التحرير والتنوير، ٩٥/٢٨.

(٦٧) محمد أبو زهرة، الإمام زيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٧.

(٦٨) ابن الوزير محمد بن إبراهيم الصنعاني، إثبات الحق على الخلق، الدار اليمينية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ٤٠٢/١.

(٦٩) سير أعلام النبلاء، تحقيق: أكرم اليوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٩٩٣م، ٣٧٦/١٤.

(٧٠) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، الوكالة العالمية للتوزيع، بيروت، (دت)، ص ٢٦٤.

(٧١) د. هاني أحمد فقيه، خطوات في فقه التعايش والتجديد، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ٢٠١٠، ص ٥٦.

(٧٢) سورة النساء، الآية ١.

(٧٣) الميزان في تفسير القرآن، ١١٨/٤.

وأخيراً فإن كل هذه الأمور لا يستطيع العقل ان يصل إليها أو أن يدركها وحده، من غير أن تأخذ بيده عناية الله وأديانه وكتبه، لأن إدراك العقل وحده إدراك بصعوبة شديدة ومعاناة هائلة وكثيراً ما يضل فيرى الخير شراً والشر خيراً والنافع ضاراً والضرار نافعاً، وأقرب شاهد على ذلك مانراه في عصرنا الحاضر الذي توهم أهله أنهم وصلوا إلى أعلى درجات الحضارة والتمدن، وهامهم يتخبطون في الظلمات وكلما حلوا مشكلة وقعوا في مشكلات، ولا نحتاج إلى معرفة ما يتخبط به العالم شرقاً وغرباً بأكثر من مطالعة سطور من جريدة يومية، أو سماع نشرة إخبارية في المذياع أو التلفاز، ولن يزالوا كذلك بل سيزدادون ظلمة وإنكاساً ماداموا يعتمدون على عقولهم ونظريات بشر مثلهم حتى يرجعوا إلى الله سبحانه وإلى عقيدة التوحيد^(٧٤)، قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٧٥).

نعم (إن للاستقرار النفسي ثمناً لا بد من تحمل تبعاته ألا وهو الإيمان فإذا كان لا بد من الوصول إلى شاطئ السعادة والاستقرار فلا مندوحة من اعتناق مبادئ السماء التي تشيع في أرجاء النفس هدوءاً ومحبة، وتترع الأعماق راحة وهناء^(٧٦))، فهذا هو الإيمان الذي يثمر من قيم تربط بين مفصلي العقيدة والقانون، مراعيًا الدنيا والآخرة، والروح والمادة.

ونظراً لهذه الأهمية فلإيمان بالغيب أثر بالغ في النفوس وأهمية كبيرة في بناء الإنسان على مَرَّ العصور، بل كلما تقدم العصر بنا لحظنا أهمية هذا الاحتياج، وذلك أنه كلما ابتعدنا عنه ضعفت الفطرة وضوت وتمرضت، وذلك لاتصال الإيمان العقدي بالفطرة الإنسانية (إذا كان الإيمان بالغيب أصلاً من أصول الفطرة الإنسانية السوية فانه في عصر التقدم وفي عصر المدنية المعاصرة أشد طلباً وأعظم خطراً في حياة وسلامة النفوس مما يعترئها من جنون وصرع يصيبها من أدواء تتولد يوماً بعد يوم)^(٧٧).

وقد بدأ بعض علماء النفس الغربيين المحدثين يدركون أخيراً أهمية الإيمان بالله تعالى في صحة الإنسان النفسية، إذ إنه يمدّه بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة وتساعد على التخلص من القلق والمرض النفسي^(٧٨).

وهذا يعني ان البشرية اليوم في حاجة ماسة إلى الإيمان وليس المسلمين وحسب في حاجة إلى هذا الإيمان واستحضاره في حركاتهم وسكونهم.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة نحت الرحال عند أهم نتائج هذا البحث، وما توصل إليه وعلى النحو الآتي:

- ١- إن من أهم مرتكزات البناء العقدي السليم هو الفطرة الإنسانية. وبموجبها يتم تنمية الإيمان الحي النابض بالحوية والعمل بموجبه.
- ٢- يعد النظام العقدي متوازناً في أسلوبه التريبي والترهيب فهما يسيران معاً جنباً إلى جنب في صياغة المعتقد الذي يجب أن يعتنقه المتلقي المسلم، وهذا يتطلب استخدام الأدلة البديهية الفطرية للاقتناع والافتقار.
- ٣- تظهر آثار العقيدة على الفرد عن طريق بيان وتأكيد الشارع الحكيم علة قضية تحرير الإنسان من رق العبودية وربقتها لغير الله تعالى أو الخضوع لسواه.
- ٤- إن أكبر أثر للعقيدة يكمن فيما تكسبه من العزة والثبات عن طريق تعزيز العلاقة بين الإنسان وربّه بما يمنحه العزة به والعزة كلها لله تعالى، وليس لأحد سواه تكوين عاطفة إيمانية قوية دافعة إلى السلوك.
- ٥- وحدة الرب المعبود، ووحدة العقيدة تنمي مشاعر القربى بين المؤمنين فيستشعرون إخاءً عظيماً يجمعهم، فوحدة العقيدة من أهم أسباب وحدة المجتمع.

٦- تكوين الإيمان القائم على العلم بصدق الوحي والقرآن وبكل ما يجب الإيمان به.

٧- التركيز على جوانب العقيدة الإسلامية الإيجابية والمؤثرة على السلوكيات.

٨- تدريب الإنسان على طريقة التأمل في مخلوقات الله تعالى وعلى ذكر الله كلما رآوا آية أو شعروا بنعمة من نعم الله على خلقه. وهكذا تتضح أهمية التكوين العقدي السليم وإسهامه في بناء شخصية الإنسان المسلم وكيانه وفكره بناءً شامخاً ومؤثراً معتدلاً بعيداً عن التطرف والغلو، ولا يمكن ان نتصور عقيدة تؤدي دورها الكبير في صياغة الإنسان صياغة قرآنية لا مثيل لها إلا فيها ومن خلالها.

المصادر والمراجع

- ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت-لبنان، ط٣ - ١٤١٤ هـ، ج٢
- أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، دار الفكر، بيروت

(٧٤) ينظر : محمد نمر الخطيب، مرشد الدعاة، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٨.

(٧٥) سورة فصلت، ٥٣.

(٧٦) موسى الهادي، الإسلام طريق المستقبل، دار الفردوس، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م، ص ٢١، للتوسعة في ثمار الإيمان: ط: علي طنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. حسن البناء، الإيمان وأثره في حياة الإنسان، دار العلم، الكويت، ١٩٧٤م.

(٧٧) د. كارم السيد غنيم، الإيمان بالغيب ضرورة عصرية، المجلة الإسلامية، المملكة المغربية، العدد ٢٠، ١٩٨٧م، ص ٤٩.

(٧٨) المرجع نفسه.

- الفيومي: احمد بن محمد بن علي المقرئ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (ت: ٧٧٠هـ) ، دار القلم ، بيروت- لبنان.
- القيم في الفكر التربوي الإسلامي. د. عبد الكريم علي اليماني، د. عبد الكريم خليفة، د. علاء صاحب، دار الغيداء، عمان، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١١م.
- الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ.
- ، د. حسن البناء، الإيمان وأثره في حياة الإنسان، دار العلم، الكويت، ١٩٧٤م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- محمد رشيد رضا، بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م.
- محمد بن محمد البارني، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، الكويت، ١٩٨٩م.
- د. نسيم ياسين، شرح أصول العقيدة الإسلامية، مكتبة دار المنارة، ط٤، ٢٠٠٥م.
- د. ناصر العقل، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، دار الوطن للنشر، ١٤١١هـ.
- الجرجاني: علي بن محمد (ت: ٨١٦هـ- ١٤١٣م) ، معجم التعريفات، تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة - القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- البخاري، صحيح البخاري.
- الطبرسي : الفضل بن الحسن (٤٦٩-٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار العلوم ، بيروت -لبنان.
- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكتبة مدرسة الفقاهة .
- محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان .
- الطوسي: أبي جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ)، كتاب الامالي ، تحقيق : بهرادا الجعفري ، علي أكبر الغفاري. المكتبة الاهلية ، ١٩٦٤م، بغداد .
- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله (ت: ٦٨٥هـ)،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١ - ١٤١٨هـ
- سعيد جبار، الاقناع في التربية الإسلامية، دار الاندلس، جدة، ط٢، ٢٠٠١م
- سيد قطب : ابراهيم الشاذلي، في ظلال القرآن ، دار الشروق للنشر ، مصر.
- النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: ٧١٠هـ) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محبي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م
- محمد جواد مالك، العقائد الإسلامية (دراسة منهجية في أصول الدين)، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٢م.
- مسلم الحسيني الحلبي ، الإسلام دين الوحدة ، مجلة رسالة الإسلام ، العدد ١ ، ١٩٤٩م .
- كمال مرسي ، المدخل إلى علم الصحة النفسية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٨ .
- ابن عاشور : محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤هـ .
- تفسير ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .
- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلى للمطبوعات ، بيروت- لبنان.
- المجلسي: محمد باقر ، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار
- محمد أبو زهرة، الإمام زيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ابن الوزير محمد بن إبراهيم الصنعاني، إثبات الحق على الخلق، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٩٣م
- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت(ع)، الوكالة العالمية للتوزيع، بيروت، (دت) .
- الهروي :أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة،المحقق: محمد عوض مرعب،دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م
- د. هاني احمد فقيه، خطوات في فقه التعايش والتجديد ، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ٢٠١٠
- محمد نمر الخطيب، مرشد الدعاة، بيروت-لبنان، ١٩٨١
- موسى الهادي، الإسلام طريق المستقبل، دار الفردوس، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م
- علي طنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت
- د. كارم السيد غنيم، الإيمان بالغيب ضرورة عصرية، المجلة الإسلامية، المملكة المغربية، العدد ٢٠، ١٩٨٧م.
- محمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا والقيم، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط٢، ٢٠١٠م.